دار القاسم

فضائل الصيام

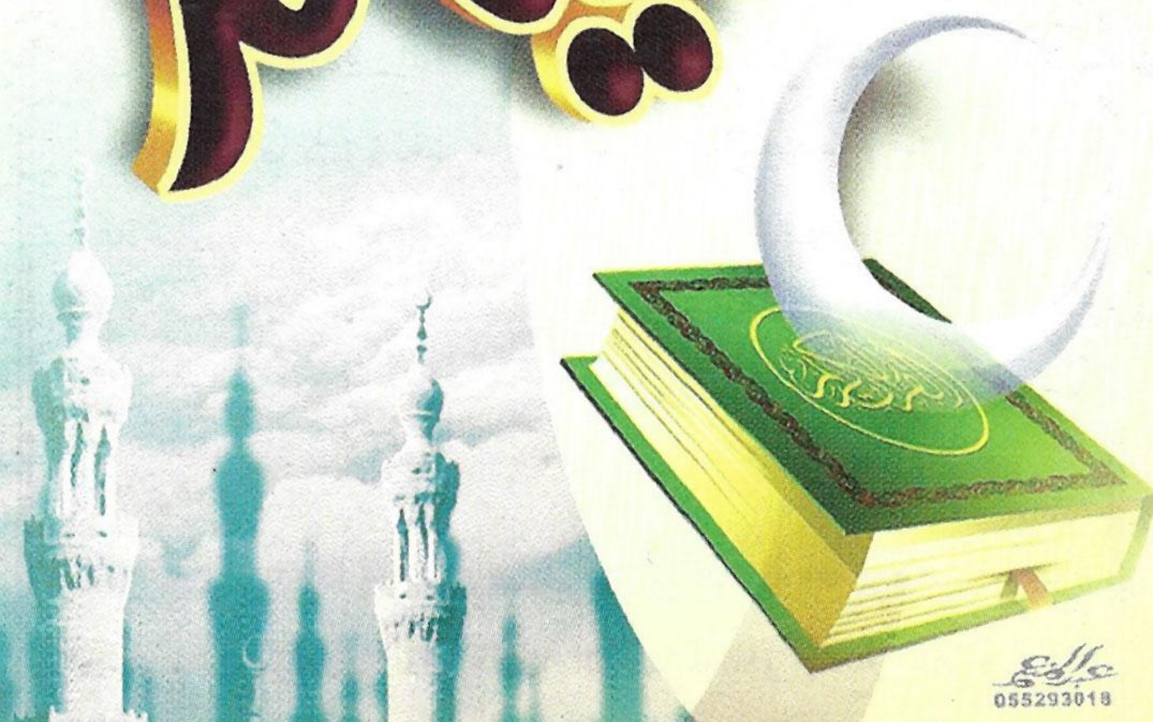

الحافظ بن رجب الحنبلي

المملكة العربية السعودية - الرياض طريق الملك فهد بين شارعي التلفزيون والخزان
ص . ب ٦٣٧٣ الرياض : ١١٤٤٢ هاتف : ٤٠٩٢٠٠٠ فاكس : ٤٠٣٣١٥٠
موقعنا على الإنترنت www.dar-alqassem.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده..

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«كل عمل ابن آدم له؛ الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله عز وجل: إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، إنه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي. للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه. ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك»** [رواه البخاري ومسلم].

الصيام ومضاعفة الأجر

* **استثنى الله** الصوم من الأعمال المضاعفة، فتكون الأعمال كلها تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلا الصيام فإنه لا تنحصر مضاعفته في هذا العدد، بل يضاعفه الله عز وجل أضعافًا كثيرة بغير حصر عدد؛ فإن الصيام من الصبر، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، ولهذا ورد عن النبي ﷺ أنه سمى شهر رمضان شهر الصبر، وفي حديث آخر عنه ﷺ قال: **«الصوم نصف الصبر»** رواه الترمذي.

* **والصبر ثلاثة أنواع:** صبر على طاعة الله، وصبر عن محارم الله، وصبر على أقدار الله المؤلمة. وتجتمع الثلاثة كلها في الصوم؛ فإن فيه صبرًا على طاعة الله، وصبرًا عما حرم الله على الصائم من الشهوات، وصبرًا على ما يحصل للصائم فيه من ألم الجوع والعطش، وضعف النفس والبدن، وهذا الألم الناشئ عن أعمال الطاعات يثاب عليه صاحبه.

* **واعلم أن مضاعفة الأجر** للأعمال تكون بأسباب؛ منها:

شرف المكان المعمول فيه ذلك العمل كالحرم، ولذلك تضاعف الصلاة في مسجدي مكة والمدينة، كما قال ﷺ: **«صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام»** رواه البخاري ومسلم. ومنها: شرف الزمان، كشهر رمضان وعشر ذي الحجة، كما قال ﷺ: **«من تطوع فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدىٰ فريضة فيما سواه، ومن أدىٰ فيه فريضة كان كمن أدىٰ سبعين فريضة فيما سواه»**.

❁ **فلما كان الصيام في نفسه** مضاعفًا أجره بالنسبة إلىٰ سائر الأعمال، كان صيام شهر رمضان مضاعفًا علىٰ سائر الصيام؛ لشرف زمانه، وكونه هو الصوم الذي فرضه الله علىٰ عباده، وجعل صيامه أحد أركان الإسلام التي بُني الإسلام عليها.

لماذا خص الله الصيام بإضافته إلى نفسه دون سائر الأعمال؟

❁ **خص الله** الصيام بإضافته إلىٰ نفسه دون سائر الأعمال فقال: **«إلا الصيام فإنه لي»** وقد كثر القول في معنىٰ ذلك من الفقهاء وغيرهم، وذكروا فيه وجوهًا كثيرة، ومن أحسن ما ذكر فيه وجهان:

❁ **أحدهما**: أن الصيام هو مجرد ترك حظوظ النفس وشهواتها الأصلية التي جبلت علىٰ الميل لله عز وجل، ولا يوجد ذلك في عبادة أخرىٰ غير الصيام؛ لأن الإحرام إنما يُترك فيه الجماع ودواعيه من الطِّيب دون سائر الشهوات من الأكل والشرب، وكذلك الاعتكاف مع أنه تابع للصيام. وأما الصلاة فإنه وإن ترك المصلي فيها جميع الشهوات إلا أن مدتها لا تطول، فلا يجد المصلي فَقْدَ الطعام والشراب

في صلاته، بل قد نُهي أن يصلي ونفسه تتوق إلىٰ طعام بحضرته حتىٰ يتناول منه ما يُسكِّن نفسه، ولهذا أمر بتقديم العشاء علىٰ الصلاة.

* **وهذا بخلاف الصيام**؛ فإنه يستوعب النهار كله، فيجد الصائم فَقْدَ هذه الشهوات، وتتوق نفسه إليها، خصوصًا في نهار الصيف؛ لشدة حرِّه وطوله، ولهذا روي أن من خصال الإيمان الصوم في الصيف، وقد كان رسول الله ﷺ يصوم رمضان في السفر في شدة الحر دون أصحابه كما قال أبو الدرداء، وورد أنه ﷺ كان بالعَرْجِ يصبُّ الماء علىٰ رأسه وهو صائم من العطش أو من الحر.

* **فإذا أشتد توقان النفس** إلىٰ ما تشتهيه مع قدرتها عليه، ثم تركته لله عز وجل في موضع لا يطَّلع عليه إلا الله، كان ذلك دليلاً علىٰ صحة الإيمان، فإن الصائم يعلم أن له ربًا يطلع عليه في خلوته، وقد حرم عليه أن يتناول شهواته المجبول علىٰ الميل إليها في الخلوة، فأطاع ربه، وامتثل أمره، واجتنب نهيه خوفًا من عقابه، ورغبة في ثوابه، فشكر الله تعالىٰ له ذلك، واختص لنفسه عمله هذا من بين سائر أعماله؛ ولهذا قال بعد ذلك: **«إنما ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي»**.

* **ولما علم المؤمن الصائم** أن رضا مولاه في ترك شهواته قدَّم رضا مولاه علىٰ هواه؛ فصارت لذته في ترك شهوته لله، لإيمانه باطلاع الله عليه، وثوابه وعقابه أعظم من لذته في تناولها في الخلوة؛ إيثارًا لرضا ربه علىٰ هوىٰ نفسه، بل المؤمن يكره ذلك في خلوته أشد من كراهته لألم الضرب، وهذا من علامات الإيمان أن يكره المؤمن ما يلائمه من شهواته إذا علم أن الله يكرهه، فتصير لذته فيما يرضي مولاه وإن كان مخالفًا لهواه، ويكون ألمه فيما يكرهه مولاه وإن

كان موافقًا لهواه.

* **الوجه الثاني :** أن الصيام سر بين العبد وربه لا يطلع عليه غيره؛ لأنه مركب من نية باطنة لا يطلع عليها إلا الله، وترك لتناول الشهوات التي يستخفي بتناولها في العادة، ولذلك قيل: لا تكتبه الحفظة. وقيل: إنه ليس فيه رياء، وقد يرجع إلى الأول؛ فإن من ترك ما تدعوه نفسه إليه الله عز وجل حيث لا يطلع عليه غير من أمره ونهاه، دل على صحة إيمانه. والله تعالى يحب من عباده أن يعاملوه سراً بينهم وبينه، بحيث لا يطلعه على معامتلهم إياه سواه، حتى كان بعضهم يودُّ لو تمكن من عبادة لا تشعر بها الملائكة الحفظة. وقال بعضهم لما اطلع على بعض سرائره: إنما كانت تطيب الحياة لما كانت المعاملة بيني وبينه سراً، ثم دعا لنفسه بالموت فمات. المحبون يغارون من اطلاع الأغيار على الأسرار التي بينهم وبين من يحبهم ويحبونه.

لا تذع السر المصون فإنني

أغار على ذكر الأحبة من صحبي

الصيام وتربية النفس

* **في التقرب** إلى الله تعالى بترك ما تشتهيه نفس الصائم من الطعام والشراب والنكاح فوائد:

* **منها :** كسر النفس؛ فإن الشبع والرَّي ومباشرة النساء تحمل النفس على البطر والغفلة.

* **ومنها :** تخلي القلب للفكر والذكر؛ فإن تناول هذه الشهوات قد يقسي القلب ويعميه، ويحول بين العبد وبين الذكر والفكر، ويستدعي الغفلة. وخلو الباطن من الطعام والشراب ينور القلب، ويوجب رقته، ويزيل قسوته، ويخليه الذكر والفكر.

* **ومنها :** أن الغني يعرف قدر نعمة الله عليه بإقداره له على ما منعه كثيراً من الفقراء من فضول الطعام والشراب والنكاح؛ فإنه بامتناعه من ذلك في وقت مخصوص وحصول المشقة له بذلك، يتذكر به من منع ذلك على الإطلاق، فيوجب له ذلك شكر نعمة الله عليه بالغنى، ويدعوه إلى رحمة أخيه المحتاج ومواساته بما يمكن من ذلك.

* **ومنها :** أن الصيام يضيق مجاري الدم التي هي مجاري الشيطان من ابن آدم، فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، فتسكن بالصيام وساوس الشيطان، وتنكسر ثورة الشهوة والغضب، ولهذا جعل النبي ﷺ الصوم وجاءً لقطعه عن شهوة النكاح.

* **واعلم أنه لا يتم التقرب إلى الله تعالى** بترك هذه الشهوات المباحة في غير حالة الصيام إلا بعد التقرب إليه بترك ما حرَّمه الله في كل حال؛ من الكذب والظلم والعدوان على الناس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، ولهذا قال النبي ﷺ: **«من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»** رواه البخاري، وقال بعض السلف: أهون الصيام ترك الشراب والطعام. وقال جابر: إذا صُمتَ فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم، ودع أذى الجار، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء.

إذا لم يكن في السمع مني تصاون

وفي بصري غض وفي منطقي صمت

فحظي إذاً من صومي الجوع والظما

فإن قلت إني صمت يومي فما صمت

* **وسر هذا** أن التقرب إلى الله تعالى بترك المباحات لا يكمل إلا بعد التقرب إليه بترك المحرمات، فمن ارتكب المحرمات ثم تقرب بترك المباحات كان بمثابة من يترك الفرائض ويتقرب بالنوافل، وإن كان صومه مجزئًا عند الجمهور بحيث لا يؤمر بإعادته؛ لأن العمل إنما يبطل بارتكاب ما نُهي عنه فيه لخصوصه، دون ارتكاب ما نُهي عنه لغير معنى يختص به. هذا هو أصل جمهور العلماء. وفي مسند الإمام أحمد: أن امرأتين صامتا في عهد النبي ﷺ فكادتا أن تموتا من العطش، فذكر ذلك للنبي ﷺ فأعرض، ثم ذكرتا له فدعاهما فأمرهما أن يتقيأ، فقاءتا ملء قدح قيحًا ودمًا وصديدًا ولحمًا عبيطًا. فقال النبي ﷺ: **«إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما، وأفطرتا على ما حرم الله عليهما؛ جلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا يأكلان لحوم الناس»**.

أفراح الصائمين

* **للصائم فرحتان:** فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه:

* **أما فرحة الصائم عند فطره:** فإن النفوس مجبولة على الميل إلى ما يلائمها من مطعم ومشرب ومنكح، فإذا مُنعت من ذلك في وقت من الأوقات، ثم أبيح لها في وقت آخر، فرحت بإباحة ما مُنعت منه، خصوصًا عند اشتداد الحاجة إليه، فإن النفوس تفرح بذلك طبعًا، فإن كان ذلك محبوبًا لله كان محبوبًا شرعًا. وللصائم عند فطره كذلك، فكما أن الله تعالى حرم على الصائم في نهار الصيام تناول هذه الشهوات، فقد أذن له فيها في ليل الصيام، بل أحب منه المبادرة إلى تناولها في أول الليل وآخره، فأحبُّ عباده إليه أعجلهم فطرًا، والله وملائكته يُصلون على المتسحِّرين.

* **فالصائم ترك شهواته** لله بالنهار تقربًا إليه وطاعة له؛ وبادر إليها في الليل تقربًا إلى الله وطاعة له، فما تركها إلا بأمر

ربه، ولا عاد إليها إلا بأمر ربه، فهو مُطيعٌ له في الحالين. ولهذا نُهي عن الوصال في الصيام، فإذا بادر الصائم إلىٰ الفطر تقرباً إلىٰ مولاه، وأكل وشرب وحمد الله؛ فإنه يُرجىٰ له المغفرة أو بلوغ الرضوان بذلك؛ وربما استُجيب دعاؤه عند ذلك كما جاء في الحديث: **«إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد»** وإن نوىٰ بأكله وشربه تقوية بدنه علىٰ القيام والصيام كان مُثاباً علىٰ ذلك. كما أنه إذا نوىٰ بنومه في الليل والنهار التقوىٰ علىٰ العمل كان نومه عبادة. فالصائم في ليله ونهاره في عبادة، ويستجاب دعاؤه في صيامه وعند فطره، فهو في نهاره صابر، وفي ليله طاعم شاكر.

* **ومن فهم هذا** الذي أشرنا إليه لم يتوقف في معنىٰ فرح الصائم عند فطره؛ فإن فطره علىٰ الوجه المشار إليه من فضل الله ورحمته، فيدخل في قول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]، ولكن شرط ذلك أن يكون فطره علىٰ حلال، فإن كان فطره علىٰ حرام كان ممن صام عما أحل الله، وأفطر علىٰ ما حرم الله، ولم يُستجب له دعاء، كما قال النبي ﷺ في الذي يطيل السفر: **«يمد يديه إلىٰ السماء: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنىٰ يستجاب لذلك»** رواه مسلم.

* **وأما فرحه عند لقاء ربه** فبما يجده عند الله من ثواب الصيام مدخراً، فيجده أحوج ما كان إليه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل: ٢٠].

* **قال سفيان بن عيينة:** إن ثواب الصائم لا يأخذه الغرماء في المظالم، بل يدخره الله عنده للصائم حتىٰ يدخله به الجنة. فالأيام خزائن للناس ممتلئة بما خزنوه فيها من خير

وشر، وفي يوم القيامة تفتح هذه الخزائن لأهلها؛ فالمتقون يجدون في خزائنهم العزَّ والكرامة، والمذنبون يجدون في خزائنهم الحسرة والندامة .

طبقات الصائمين

* **الصائمون على طبقتين :**

* **إحداهما :** من ترك طعامه وشرابه وشهوته لله تعالى، يرجو عنده عوض ذلك في الجنة، فهذا قد تاجر مع الله وعامله، والله تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملاً، ولا يخيب معه من عامله، بل يربح عليه أعظم الربح، وقد قال رسول الله ﷺ لرجل : **«إنك لن تدع شيئًا اتقاء الله إلا آتاك الله خيرًا منه»** رواه أحمد. فهذا الصائم يُعطى في الجنة ما شاء الله من الطعام والشراب والنساء .

* **وعن بعض السلف :** قال : بلغنا أنه يوضع للصوام مائدة يأكلون عليها والناس في الحساب، فيقولون : يا رب! نحن نُحاسب وهم يأكلون؟ فيقال : إنهم طالما صاموا وأفطرتم، وقاموا ونمتم .

* **الطبقة الثانية من الصائمين :** من يصوم في الدنيا عما سوى الله، فيحفظ الرأس وماحوى، ويحفظ البطن وما وعى، ويذكر الموت والبلى، ويريد الآخرة فيترك زينة الدنيا، فهذا عيد فطره يوم لقاء ربه وفرحه برؤيته .

* **من صام** عن شهواته في الدنيا أدركها غداً في الجنة، ومن صام عمَّا سوى الله فعيده يوم لقائه .

يا حبيب القلوب من لي سواكا

ارحم اليوم مذنبا قد أتاكا

ليس لي في الجنان مولاي رأس

غير أني أريدها لأراكا

* **خلوف** فم الصائم هو رائحة مايتصاعد منه من الأبخرة لخلو المعدة من الطعام بالصيام، وهي رائحة مستكرهة في مشام الناس في الدنيا، لكنها طيبة عند الله حيث كانت ناشئة عن طاعته وابتغاء مرضاته. كما أن الشهيد يجيء يوم القيامة يَثْعَبُ دمًا، لونه لون الدم، وريحه ريح المسك، وفي طيب ريح خلوف الصائم عند الله عز وجل معنيان :

* **أحدهما :** أن الصيام لما كان سراً بين العبد وربه في الدنيا أظهره الله في الآخرة علانية للخلق؛ ليشتهر بذلك أهل الصيام، ويعرفون بصيامهم بين الناس جزاء لإخفائهم صيامهم في الدنيا .

* **والمعنى الثاني :** أن من عبد الله وأطاعه، وطلب رضاه في الدنيا بعمل، فنشأ من عمله آثار مكروهة للنفوس في الدنيا، فإن تلك الآثار غير مكروهة عند الله؛ بل هي محبوبة له وطيبة عنده، لكونها نشأت عن طاعته واتباع مرضاته. فإخباره بذلك للعاملين في الدنيا فيه تطيب لقلوبهم؛ لئلا يُكره منهم ما وجد في الدنيا .

* **خلوف** أفواه الصائمين له أطيب من ريح المسك، جوع الصائمين لأجله هو الشبع، عطشهم في طلب مرضاته هو الرِّيُّ، نَصَبُ المجتهدين في خدمته هو الراحة .

وصلى الله على محمد وعلى آله وصبه وسلم

برنامج القراءة بالمراسلة: برنامج يتيح لكل قارئ، ولمدة عام كامل متابعة آخر إصدارات دار القاسم عبر البريد، أو الإيصال إلى المنزل، ليكون في متناول يد المشترك كل شهر: (٤كتب + ٤كتيبات جيب + ٤ مطويات) وخلال (١٢شهرا) يصل إليه ٤٨ كتابا + ٤٨ كتيب جيب + ٤٨ مطوية. قيمة الإشتراك السنوي (١٧٥) ريال.

حقوق الطبع والنشر محفوظة

تجدون المزيد على موقع المطويّات الإسلاميّة : www.matwiat.com